الأزل دامية المعزى الكسيرة فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كأنك لا
أبا لغيرك حدرت على أهلك تراثك من أبيك وأمك فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أو ما
تخاف نقاش الحساب أيها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب كيف تسيغ شراباً وطعاماً
وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً وتبتاع الإماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين
والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد إلى
هؤلاء القوم أموالهم فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك ولأضربنك بسيفي
الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت عندي
لهما هوادة ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما وأزيح الباطل عن مظلمتهما وأقسم بالله رب العالمين
ما يسرني أن ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثاً لمن بعدي فضح رويداً فكأنك قد بلغت المدى ودفنت تحت
الثرى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي فيه الظالم بالحسرة ويتمنى المضيع فيه الرجعة
ولات حين مناص

الشرح أشركتك في أمانتي جعلتك شريكاً فيما قمت فيه
من الأمر وائتمنني الله عليه من سياسة الأمة وسمى الخلافة أمانة كما سمى الله تعالى التكليف أمانة
في قوله إنا عرضنا الأمانة فأما قوله وأداء الأمانة إلي فأمر آخر ومراده بالأمانة الثانية
ما يتعارفه الناس من قولهم فلان ذو أمانة أي لا يخون فيما أسند إليه وكلب الزمان اشتد
وكذلك كلب وحرب العدو استأسد وخزيت أمانة الناس ذلت وهانت وشغرت الأمة خلت
من الخير وشغر البلد خلا من الناس وقلبت له ظهر المجن إذا كنت معه فصرت عليه وأصل ذلك أن الجيش
إذا لقوا العدو كانوا يظهرون مجانهم إلى وجه العدو ويبطنون مجانهم إلى جهة عسكرهم فإذا فارقوا
رئيسهم وصاروا مع العدو صاروا يظهرون مجانهم إلى رئيسهم بدلاً من الوضع الذي كان من قبل فإن
ظهور الترسة لا يمكن أن يكون إلا في وجوه الأعداء لأنها مرمى سهامهم وأمكنتك الشدة أي الحملة
قوله أسرعت الكرة لا يجوز أن يقال الكرة إلا بعد فر وكأنه لما كان مقلعاً في ابتداء الحال عن
التعرض لأموالهم كان كالفار عنها فلذلك قال أسرعت الكرة والذئب الأزل الخفيف الوركين
وذلك أشد لعدوه وأسرع لوثبته وإذا اتفق أن تكون شاة من المعزى كسيرة ودامية أيضاً كان الذئب
على اختطافها أقدر ونقاش الحساب مناقشته قوله فضح رويداً كلمة تقال لمن يؤمر بالتؤدة
والأناة والسكينة وأصلها الرجل يطعم إبله ضحى ويسيرها مسرعاً ليسير فلا يشبعها فيقال
له ضح رويداً وقد اختلف الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب فقال الأكثرون إنه عبد الله
ابن العباس رحمه الله ورووا في ذلك روايات واستدلوا عليه بألفاظ من ألفاظ الكتاب كقوله أشركتك
في أمانتي وجعلتك بطانتي وشعاري وإنه لم يكن في أهلي رجل أوثق منك وقوله على ابن عمك
قد كلب ثم قال ثانياً قلبت لابن عمك ظهر المجن ثم قال ثالثاً ولابن عمك آسيت وقوله لا أبا لغيرك
وهذه الكلمة لا تقال إلا لمثله فأما غيره من أفناء الناس فإن علياً عليه السلام كان يقول لا أبا
لك وقوله أيها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب وقوله والله لو أن الحسن
والحسين وهذا يدل على أن المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجري مجراهما عنده وقد
روى أرباب هذا القول أن عبد الله بن عباس كتب إلى علي عليه السلام جواباً عن هذا الكتاب قالوا
كان جوابه أما بعد فقد أتاني كتابك تعظم علي ما أصبت من بيت مال البصرة ولعمري إن حقي في بيت المال
لأكثر مما أخذت والسلام قالوا فكتب إليه علي عليه السلام أما بعد فإن من العجب أن تزين لك
نفسك أن لك في بيت المال من الحق أكثر مما لرجل من المسلمين فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل

وادعاؤك

وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المآثم ويحل لك المحرم إنك لأنت المهتدي السعيد إذاً وقد بلغني أنك
اتخذت مكة وطناً وضربت بها عطناً تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف تختارهن
على عينك وتعطي فيهن مال غيرك فارجع هداك الله إلى رشدك وتب إلى الله ربك واخرج إلى المسلمين
من أموالهم فعما قليل تفارق من ألفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الأرض غير موسد
ولا ممهد قد فارقت الأحباب وسكنت التراب وواجهت الحساب غنياً عما خلفت فقيراً إلى ما قدمت
والسلام قالوا فكتب إليه عبد الله بن عباس أما بعد فقد أكثرت علي ووالله لأن ألقى الله قد احتويت
على كنوز الأرض كلها من ذهبها وعقيانها ولجينها أحب إلي من أن ألقاه بدم امرئ مسلم والسلام
وقال الآخرون وهم الأقلون هذا لم يكن ولا فارق عبد الله بن عباس علياً عليه السلام ولا باينه
ولا خالفه ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل علي عليه السلام قالوا ويدل على ذلك ما رواه أبو الفرج علي
بن الحسين الأصفهاني من كتابه الذي كتبه إلى معاوية من البصرة لما قتل علي عليه السلام وقد ذكرناه
من قبل قالوا وكيف يكون ذلك ولم يخدعه معاوية ويجره إلى جهته فقد علمتم كيف اختدع كثيراً
من عمال أمير المؤمنين عليه السلام واستمالهم إليه بالأموال فمالوا إليه وتركوا أمير المؤمنين عليه السلام
فما باله وقد علم النبوة التي حدثت بينهما لم يستمل ابن عباس ولا اجتذبه إلى نفسه وكل من قرأ السير
وعرف التواريخ يعرف مشاقة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علي عليه السلام وما كان يلقاه به من
قوارع الكلام وشديد الخصام وما كان يثني على أمير المؤمنين ويذكر خصائصه وفضائله ويصدع
به من مناقبه ومآثره فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك بل كانت الحال تكون بالضد
مما اشتهر من أمرهما وهذا عندي هو الأمثل والأصوب **وقد قال الراوندي**
المكتوب إليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن العباس لا عبد الله وليس ذلك بصحيح فإن عبيد الله كان
عامل علي عليه السلام على اليمن وقد ذكرت قصته مع بسر بن أرطاة فيما تقدم ولم ينقل عنه أنه أخذ مالاً وقد
أشكل علي أمر هذا الكتاب فإن أنا كذبت النقل وقلت هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام
خالفت الرواة فإنهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه وقد ذكر في أكثر كتب السير وإن صرفته
إلى عبد الله بن عباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته
وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام والكلام يشعر بأن الرجل
المخاطب من أهله وبني عمه

الأصل ومن كتاب له عليه السلام إلى
عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه
أما بعد فإني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين ونزعت يدك بلا ذم
لك ولا تثريب عليك فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم
ولا مأثوم فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام وأحببت أن تشهد معي فإنك ممن أستظهر به
على جهاد العدو وإقامة عمود الدين إن شاء الله

الشرح أما عمر بن
أبي سلمة فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله أمه أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأبوه
أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة يكنى أبا حفص ولد في السنة
الثانية من الهجرة بأرض الحبشة وقيل إنه كان يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن تسع سنين
وتوفي بالمدينة في خلافة عبد الملك سنة ثلاث وثمانين وقد حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وروى عن سعيد بن المسيب وغيره ذكر ذلك كله ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب وأما النعمان
بن عجلان الزرقي فمن الأنصار ثم من بني زريق وهو الذي خلف على خولة زوجة حمزة بن عبد المطلب